العربية كلغة دولية(*)

محمد ديداوي
اليونيدو

1 ــ مسيرة العربية : تأثر وتأثير

اللغات، كأي كائن حيّ، تأخذ عن بعضها، تؤثر وتتأثر، تتطور وتستوعب وتتغير، أو هذا هو المفروض فيها، وإلاّ كانت في عداد اللغات الميتة التي يطويها التاريخ وقد تكون قد تفرّعت عنها لغات أخرى أو لهجات، تلك سنّة اللغة. ولم تخرج العربية عن هذه القاعدة من حيث الأخذ والعطاء. فقد كان «سبب تأثير لغة العرب في كل لغات أوروبا(**) تقريبا هو فتوحاتهم فيها»[1] و «ضاعف تأثير تلك الفتوحات في لغات أوروبا(**)سمو ثقافة العرب»[2]. وهكذا، أثرت تأثيرا متفاوتا في حوالي مائة من لغات العالم ولهجاته، ومنها أرقى اللغات الأوروبية، في مجال الكيمياء والرياضيات والفلك وغير ذلك، وتأثرت العربية بالآرامية والعبرية والفارسية واليونانية والتركية والايطالية والفرنسية ولغات أخرى.

وأثرت العربية في 37 لغة، في أوروبا وآسيا وإفريقيا، اتخذت حروفها[3].

وإن التأثير قد يكون في المصطلح أو التركيب، كما إن لهذه الظاهرة خصوم وأنصار. ففي حين نجد أن «جلّ المتكلمين بالانجليزية يبدو أنهم يؤمنون بنوع من حرية التبادل اللغوي(***) ويذهبون إلى القول بأنه إذا ما كان مصطلح من أصل أجنبي ذا فائدة يلزم تسخيره حالا بغض النظر عن انتسابه»[4]، فإن هناك من يرى «أن للغات الأجنبية والترجمات عنها جانبا سلبيا ــ في رأينا ــ يتمثل في كثير من الأساليب التركيبية للجملة، ولا يمكن أن نعدّ هذا الجانب من التطور المقبول لأنه ينهج نهجا يخالف المألوف في العربية الفصحى التي جرينا على سنّتها في القواعد والصرف وأصول المفردات ويلاحظ الدارس أن الكلمات المستعملة عربية لكن

---

* إن الآراء المعرب عنها في هذه الورقة آراء شخصية محضة.
** أوربة في الأصل.
*** نميّز بين «لغوي» نسبة إلى اللغة، و«لساني» نسبة إلى اللسانيات Linguistics.

المعنى المعبر عنه في جملة أو تركيب مستحدث لا تعرفه العربية، وهو مترجم حرفيا عن اللغات الأجنبية»(5). وإن هذه النظرة تتعارض مع فكرة التطور المحتوم، لاسيما إذا عرفنا أن الانكليزية (أو الأصح الأمريكية) قد استفادت فائدة عظمى من الألمانية وتراكيبها فازدادت دقة وإيجازاً. و«يكاد يكون تأثير اللغات الأخرى في العربية منعدما»(6) من حيث الأصوات والصيغ والتراكيب.

هكذا، «لم تتغير أصوات الحروف العربية ولا تأثرت أبنية العربية وأوزانها. وأما ما كان من تطور التراكيب ومن طول الجمل وتداخلها وتشابك أجزائها وتعددها فهو في رأينا تطور طبيعي نشأ عن تطور الحياة والفكر بعد الاسلام»(7).

هكذا، نرى أن تواصل الحضارات يؤثر في اللغة بطريقة أو بأخرى.

ونعود إلى احتكاك الأمريكية بالألمانية، فنقول إنه يكفي أن نعرف أن في تسعينات القرن التاسع عشر كان ينشر في أمريكا ما يربو على 800 مطبوع بالألمانية وكان عدد المتحدثين في مدينة نيويورك يأتي مباشرة بعد برلين ثم فيينا.

وكانت اللغة الألمانية هي ثاني لغة يتعلمها التلاميذ في المدارس. وكانت مدينة بولتيمور تحتضن وحدها أربع مدارس ابتدائية تلقن الدروس فيها باللغة الألمانية. وكان معظم سكان بنسلفانيا الوسطى قبل زهاء 60 سنة يتكلمون الألمانية(8). وقد كان لهذا الاحتكاك الحضاري — اللغوي وقع على اللغة والناس.

2ـــ خصائص اللغة العربية

اللغة العربية غنية زاخرة بالمفردات، ذلك أن لغة قريش التقت حولها لغات أخرى من الجزيرة العربية، بعد نزول القرآن الكريم، فكانت في ذلك نعمة الاثراء ونقمة الترادف فيما بعد. ولا داعي لمقارنة اللغة العربية مع غيرها من حيث وفرة المفردات، لأن «قضية المفردات لا تدخل في صميم اللغة»(9). إن في اللغة العربية مزية الاشتقاق ومنه الاشتقاق الصغير والأكبر. وهذا الأخير هو الذي تحدَّث عنه ابن جني في كتاب الخصائص، وهو أن تأخذ جذرا وتعكس حروفه على الأوجه الستة فتجد معنى مشتركاً بينها، والنحت. ومن مميزات اللغة العربية أوزان الأفعال والأسماء واستعمالات حروف الجر، حتى ان المعنى يكتسي حلة من البيان والايجاز. ومن أخص خصائصها تعدد الصيغ لمفرد كلمة واحدة وتعدد صيغ جميع مئات الكلمات.

وقد جمعت العربية بين المحسوسات والملموسات كما أن مفرداتها«تدل على أن العرب صنفوا الوجود تصنيفا شاملا دقيقا منطقيا يدعو إلى الدهشة والتعجب ويدل على مستوى فكري قلما وصلت إليه الأمم في مثل هذا التطور المبكر من تاريخ حياتها»(10).

يقول ا. س. تريتون : «إن أكثر المفردات شيوعا، في معظم اللغات، ومثلها في ذلك مثل العربية، لا تخضع إلى قياس، إلا أن حالات الخروج عن القياس أقل في العربية منه في غالبية اللغات الأخرى. وإن تركيب الجملة في العربية بسيط..»(11)

و«إن من مميزات اللغة العربية أنها خلافا لأكثر لغات الدنيا القديمة منها والحديثة تتبع قواعد ثابتة لا استثناء فيها، ومن المعلوم أن أكبر العوائق في تعلم اللغات كثرة ما يعتريها من الشذوذ في الكتابة (انظر الفرنسية) وفي النطق (انظر الانكليزية) وفي الاعراب وتركيب الجمل وفي غير ذلك من قواعد النحو والصرف واللغة».

«فلهذا الاعتبار يمكن أن تعدَّ اللغة العربية من أسهل اللغات تعلّما إنما يلزم لذلك حفظ كل القواعد وتطبيقها. وهذا أهون من حفظ كل كلمة وكيف تكتب، وكل كلمة وكيف تنطق، وكل فعل من الأفعال الشاذة الكثيرة وكيف يصرّف وفي حفظ كل قواعد الاعراب وكيف تعرب الألفاظ الشاذة في اللغات التي تستعمل الاعراب أي تغير أواخر الكلم حسب العامل وهي أكثر مما يتصوره الذين لا يعرفون إلا اللغات اللاتينية في حين أن كل اللغات السلافية والجرمانية وغيرها لغات إعرابية»(12).

وإن العربية رحبة الصدر مطواعة، استطاع بها العرب أن يأتوا من الكلام فنا ومن الشعر روعة حتى عندما كانت تتقاذفهم رحاب الصحراء المترامية الأطراف. و«هناك في الفيافي والقفار، على تخوم حضارة راسخة الأركان، اخترعت مجموعة من القبائل المتشتتة والمتناحرة على الدوام والتي لا تجمع بينها سوى وحدة اللغة، نوعا من الشعر فريدا ومعقدا في نظمه ومذهلا في تصويره، وارتقت به بالسليقة إلى أسمى درجات الاتقان»(13). وقد جاءت في العربية أبيات بيّنات من الشعر وتفنن الكتاب نثرا فتركوا تراثا أدبيا غنيا قيّما.

3 ــ القرآن والحديث

الجانب اللغوي والحضاري هو الذي يهمنا في القرآن الكريم. فهو محبوك في أسلوب رائع ومتين، له مقام في النفس وفضل على العربية، فهو أول كتاب مدوّن فيها وقد حدّد معالمها وصانها بقدسيته. وقد عده بعض أفراد قريش من سحر القول وجاء من بعدهم من انبهر ببديع آياته فرصع به الكلام نظما ونثرا ومن عارضه فعجز به البيان.

«وقد أثر هذا الكتاب العظيم آثارا بعيدة المدى في اللغة العربية، فقد حوّل أدبها من قصائد في الغزل والحماس والأخذ بالثأر والفخر ووصف الابل والخيل والسيوف والرماح، ومن حكم متناثرة لا ضابط لها ولا نظام، إلى أدب عالمي يخوض في مشاكل الحياة الاجتماعية وينظم أمورها الدينية والدنيوية»(14).

وقد أجمع العرب(15) وغير العرب(16) على هذه الظاهرة الأسلوبية المعجزة وإن حاول بعض المستشرقين أن يجدوا فيه عيبا هو في الحقيقة «من ضروب البلاغة ويصعب إدراك كنهه على غير أبناء اللغة الواقفين على أسرارها»(17).

ومن ناحية أخرى، فإن «الفكر الاسلامي انطلق انطلاقة كبيرة بفضل القرآن. فقد فتح الكتاب آفاقا جد واسعة وأتى بمواضيع جد دسمة واستعمل وسائل للتعبير جد خارقة إلى حدّ أنه أوجد للمفكرين والباحثين في مضمار العلوم مواضيع يستكشفون معينها الذي لا ينضب»(18). وكان «الحدث القرآني حدثا لغويا وثقافيا ودينيا»(19). ومن النادر جدا، بل يكاد يكون من المحال، أن يوجد أي شاعر مجيد أو خطيب بليغ أو كاتب مبدع في اللغة العربية لم يطّلع على القرآن. وكلما تمكن منه طوّع اللغة واستحكمت فصاحته.

ويأتي بعد القرآن الحديث النبوي، من حيث البلاغة. إنه عبارة عن «مجموعة أدبية خطيرة»(20) يضعها أرباب القول في المقام الأعلى بعد القرآن»(21).

وإن «اللغة، ببيانها، كانت المعجزة الأولى التي بهر بها الاسلام خصومه»(22).

4 ــ استعمال اللغة العربية

للغة العربية نسق محكم من حيث التركيب والأداء. ومن مميزاتها ازدواجية استعمال الجملة كفعلية أو اسمية. وقد انجبت مفكرين جهابذة كان

لهم قول مذكور في شتى الميادين، ومنهم الفارابي وابن رشد وابن خلدون وابن سينا والخوارزمي وغيرهم. واستطاعت العربية أن تستوعب العلوم بمجهود النقلة والمترجمين، خاصة في أيام المأمون وبتشجيع وعطاء سخي منه، إلى حدّ أنه كان يعطيهم وزن الورق المترجم ذهبا.

ولا يمكن أن ينكر أحد أن اللغة العربية لها وسائل فعّالة للتعبير عن ظلال المعاني من اشتقاق وأوزان وحروف جر، الخ.

أما من ناحية المفردات، فقد اعتنى اللغويون العرب أيام الازدهار بالتمييز بين الألفاظ، ومنهم أبو هلال العسكري في «الفروق في اللغة» وابن قتيبة في «أدب الكاتب» والثعالبي في «فقه اللغة وأسرار العربية»، وعبد الرحمان بن عيسى الهمذاني في كتاب «ألفاظ الاشباه والنظائر». كما تطرّق إلى هذا الموضوع ابن جني والسيوطي وأبي علي الفارسي والزمخشري، وغيرهم.

غير أن العربية أصابها في عصور الانحطاط المنصرمة «مرض العموم والغموض والابهام، كما أصابت هذه الآفات التفكير نفسه، فضاعت الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة فغدت مترادفة»[23].

وإن اللغة العربية لغة موسيقية، ذلك أن الأصوات تتمازج فيها لتحدث نغما وإيقاعا تستلذه الأذن. لكن، مع الأسف، فإن بعض العرب «بدل أن يتخذوا من اللغة منعشا منشطا للفكر، ووسيلة للابداع الفني وللخصب الثقافي، اكتفوا بالتصنّع وباللذة المرضية التي تطرب لها الأذان وقد انخدعت بالرنات الجوفاء»[24].

هذا هو بالذات الداء الذي ينخر الفكر العربي. وإن أعراض هذا الداء أربعة، يسميها الفيلسوف المغربي محمد عزيز الحبابي «الربايب»، وهي:

1 ــ الترادف وعدم التدقيق في استعمال المدلولات التقريبية.

2 ــ متاهات المشاحنات النحوية، علما «أن النحو العربي تمارين فكرة رائعة»[25]، وإن تبسيط النحو العربي واجب.

3 ــ الصناعة اللفظية الجوفاء والسجع المصطنع.

4ــ الحشو. يقول محمد عزيز الحبابي: «توصلت هذا الصباح برسالة، كتب صاحبها على الغلاف ما يلي: «حضرة الفاضل المحترم الأستاذ الدكتور السيد... أستاذ بكلية...» يا لضياع الوقت! فما بالكم حينما يتعلق الأمر برسالة بكاملها! ...»[26]

هذا مع أن للغة العربية قواعد في الأساليب البلاغية لأغراض الايجاز والاطناب والمساواة، أي التساوي الكامل بين اللفظ والمعنى أو بحيث «يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصا عنه بحذف أو غيره، ولا زائداً عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض»[27].

وليس التنميق وقفا على العربية، ذلك أن لغات أخرى قد تلجأ إلى زخرفة الكلام لأغراض التأثير أو تمويه المعنى أو التعويض عن نقصانه.

ومن ناحية أخرى، فإنك، في العربية، «تجد للمعنى الواحد عدة قوالب تتراوح بين الاطناب والايجاز إلى حدّ يسم غيرها [العربية] من اللغات بطابع الاعجاز»[28].

كما إن «تفاوت طبقات الكلام العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات كما قدمناه فكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل ألفاظا وعبارة من جميع الألسن»[29].

وإن الترجمة من نصوص عربية أصيلة مكتوبة حسب الأصول تظهر أنه لا بد من إضافات في اللغات المنقول إليها إذا أريد تبليغ المعنى العربي كاملا غير منقوص. ونذكر، على سبيل المثال، من هذا القبيل، ترجمة القرآن الكريم والأشعار.

5 ــ اللغة العربية المعاصرة

5. 1. دور الصحافة والاعلام

ما أن أهلّ عصر النهضة في العالم العربي، في أواخر القرن التاسع عشر، بعد الانحطاط والخمول الفكري لفترة من الزمن، حتى انبرت مجموعة من الكتّاب والأدباء والمفكرين يؤسسون الجرائد والمجلات كمنبر لتنوير العقول وصقل اللغة أو يسخّرون أقلامهم ومواهبهم للكتابة في تلك الجرائد والمجلات. هكذا، ظهرت مجلات الجنان (1870 ــ 1886) والمقتطف (أسست عام 1876 في بيروت ثم انتقلت إلى مصر : 1883 ــ 1953) والهلال (أسست عام 1892) والرسالة والبلاغ والعصور، الخ، ثم أنها بدأت تختفي ابتداءً من عام 1952. وقد برز على صفحاتها كتّاب مثل طه حسين وعباس محمود العقاد وأحمد أمين ومحمود حسن الزيات، وغيرهم كثير، ساعدوا على بلورة اللغة العربية والتقريب من التطورات الحاصلة في الخارج في شتى ميادين العلوم والمعرفة. ولقد كتبوا في لغة عربية أنيقة وراقية وإن اعتورها بعض العيب من حيث المصطلح الحديث المتخصص وحتى في هذا الباب تحسّسوا الطريق ومهّدوا السبيل.

وبتقدم القرن العشرين عرفت وسائل الاعلام والاتصال تقدما هائلا وتقلّصت المسافات في الزمان والمكان. هكذا، تكاثرت الصحف والمجلات وأنشئت الوكالات وأصبح الاعلام عنصرا من العناصر الضرورية للحياة العصرية.

وبخصوص العربية، يجدر بالمرء أن يميز بين الجريدة والمجلة. فالجريدة، اليومية بطابعها، تهدف إلى الاخبار عن الأحداث وقد تتخللها أركان عن الثقافة والطرافة، تكتب أحيانا في عجالة وتعد أحيانا أخرى من قبيل الخواطر: وإن آفتها الكبرى هي التسرّع لانزال الخبر. وهي تعتمد في معظم الأحيان على وكالات الأنباء الأجنبية لاستقاء المعلومات كما إن مضمونها كثيرا ما يكون مادة مترجمة. وإن هذا الموضوع لا يخص اللغة العربية وحدها ذلك أن «في أمريكا اللاتينية تستمد كثير من المعلومات المنشورة في الجرائد من وكالات الأنباء الأجنبية، الأمريكية والأوروبية خاصة، وتأتينا هذه المعلومات مشوّهة في جلّ الأوقات. فما لغتها بأمريكية ولا هي بإسبانية، وإنما هي خلط ملط...»[30]

وإن ضيق الوقت غالبا ما يؤدي بها إلى الاسفاف في المصطلح والركاكة في الأسلوب. أما المجلات الدورية فهي أكثر تروّ وتمعّن ورصانة. وما فتئت تظهر في العالم العربي طائفة حسنة منها، بعضها متخصص في الموضوع يشارك فيه كتّاب عرب مرموقون. إلاّ أن عيبها الكبير هو عدم التداول والانتشار. وإن بعضها مترجم عن اللغات الأخرى، مثل «مجلة العلوم» التي تصدر في الكويت منذ عهد قريب وتستند إلى مجلة Scientific American الأمريكية. وقد وزع منها في السنة الماضية عددان تجريبيان.

و«هناك أيضا ما يشبه الاجماع إلى أن وسائل الاعلام لا تستخدم استخداما مفيدا أو منتجا في الوطن العربي... وإنها إلى المتعة أقرب منها إلى الفائدة. وإلى إضاعة الوقت أقرب منها إلى الاستفادة من الوقت وإنها إلى العمل السياسي أدنى منها إلى العمل العلمي الأساسي الدائم»[31].

إن لغة الصحافة تحتاج إلى ترجمة داخلية في اللغة العربية.

وليس من الصحيح دائما «إن الأسلوب السهل المشرّف الذي وصلنا إليه اليوم في الكتابة بلغتنا العربية، لا يعود الفضل فيه إلى معلمي اللغة في المدارس، والكليات، ولا يعود الفضل فيه إلى الكتّاب والأدباء القدامى، بل الفضل الأول في هذا الأسلوب، يعود إلى الصحافة اليوم»[32]. ذلك أن النصوص في معظمها مترجمة ولا بد أن يقوم بالعملية مترجمون أكفاء بالاضافة إلى مهارتهم الصحافية، أو بعبارة أخرى صحافيون ــ مترجمون.

5. 2. قنية المصطلح

5. 2. 1. بداية التكيّف

إلتهمت العربية واستوعبت سيلا من المصطلحات إبّان العصور الذهبية، فعرّبت وأدخلت ونحتت ثم اخترعت.

وما المصطلح العلمي بجديد على العربية. فقد كان في مكتبة قرطبة زهاء 500 000 كتاب عندما لم يكن في شمال جبال البرانس سوى 5 000 كتاب على أكثر تقدير[33]. و«قد أسهمت العربية أيضا في العلوم الحديثة بعدد من الكلمات»[34].

واهتم العرب في عصر النهضة بالترجمة اهتمام المولع المتعطش، لكنهم تعثروا بالمصطلح.

وفي أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين اصطدموا بتمازج المترادفات وتشوّش المدلولات بصفة عامة. ثم تطوّر العلم وظهرت مصطلحاته الجديدة فانكبّوا على تعريبها بعزيمة وغيرة وحصل التقدم رويدا رويدا إلى أن وصلت المستوى الحالي، وبذلك أوجدوا تعابير مثل السيارة والطائرة والهاتف والمذياع، وهلم جرا. وقد عانوا الكثير حتى في المفردات والتعابير التي تبدو الآن عادية، في شتى المجالات. وعلى سبيل المثال، تدرجوا من «ايتازونيا» إلى «الايالات المجتمعة» إلى «الولايات المتحدة»[35].

ومن الطرائق التي استخدموها «الاستعارة من نفس اللغة العربية والتوسّع في استخدام المصطلحات العربية القديمة. وهي قاعدة عامة استخدمها الطهطاوي ثم شاعت بعده»[36].

5. 2. 2. المصطلح اليوم

المصطلح العربي يحتاج في الوقت الراهن إلى المزيد من التنسيق والتوحيد. وهناك عدة هيئات تسعى إلى هذه الغاية، ومنها[37] :

ــ المجامع اللغوية ومعاهد البحث ونذكر منها بالخصوص : مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي سابقا) (المنشأ 1919)، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة (مجمع فؤاد الأول للغة العربية سابقا) (المنشأ 1932) والمجمع العلمي العراقي (المنشأ 1947)، ومجمع اللغة العربية الأردني (1976)، وبيت الحكمة بتونس (1983).

ــ معاهد البحث : معهد الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بتونس (1960)، ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط (1960)، ومعهد الدراسات الصوتية بالجزائر (1960)، الخ.

ــ المنظمات : مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي (1961) التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس (عمان) (1968)، والمنظمة العربية للعلوم الادارية (عمان)، والمنظمة العربية للتنمية الزراعية (الخرطوم).

ــ الاتحادات : ومنها الاتحاد العلمي العربي (1954)، واتحاد الجامعات العربية (1960)، واتحاد المجامع العربية (1970)، واتحاد مجالس البحث العلمي (1975)، واتحادات

الأطباء والكيميائيين والمهندسين الزراعيين، والرياضيين والصيادلة، الخ.

— مؤتمرات التعريب التي تعقد كل ثلاث سنوات تحت إشراف مكتب تنسيق التعريب.

كما أنه توجد في الأسواق قواميس ومعاجم أغلبيتها جادة. وتجدر الاشارة هنا أيضا إلى معاجم مكتب تنسيق التعريب. وهذه المعاجم عبارة عن شتات بين أجزاء مجلة «اللسان العربي» التي يصدره المكتب، وليس من اليسير على الباحث أو المترجم أن يستعملها، نظرا لهذا التبعثر، ويحسن بالمكتب أن يجمع ذلك الشتات في مجلد واحد ضخم أو عدة مجلدات متتابعة أبجديا ليسهل تناول المادة. وحبذا لو تم معالجة المفردات إلكترونيا، ويزود المكتب المذكور بالوسائل الحديثة المتطورة وبالعدد الكافي من الموظفين اللازمين للقيام بهذه المهمة الجسيمة. هذا بالضبط ما نودي به في ندوة عقدتها اللجنة العربية التابعة لرابطة الجامعات الناطقة بالفرنسية جزئيا أو كليا، في مدينة الحمامات، بتونس، 29 نيسان / أبريل — 3 آيار / مايو 1983، وندوة التعاون العربي في مجال المصطلح علما وتطبيقا، تونس، 7 — 10 تموز / يوليه 1986، التي أوصت كذلك بإنشاء شبكة عربية إلكترونية للاعلام المصطلحي، الأمر الذي بدأ يتجسد في الآونة الأخيرة بالتعاون مع المركز الدولي للمعلومات المصطلحية «إينفوتيرم» (Infoterm) الكائن في فيينا. ويعتزم إطلاق تسمية Arabterm على هذه الشبكة التي من المتوقع أن تكون مدينة تونس مقرا لها والتي ينتظر أن تتعاون تعاونا وثيقا مع اينفوتيرم. ومن المقرَّر أن يعقد أول اجتماع لها في تونس في المستقبل. فإذا تحقق هذا، سيكون خطوة بنَّاءة عربيا ودوليا.

أما عن مجامع اللغة العربية، فإنها تتسم بالجدية وترسم السياسة العامة للمصطلح واللغة عموما، لكنها بطيئة في إنتاج المصطلح وإيصاله إلى المستخدم ويلزم المزيد من التنسيق بينها.

6 — اللهجات العربية أو علاقة العربية بالواقع

قام عبد العزيز بن عبد الله، المدير السابق لمكتب تنسيق التعريب، بدراسة مقارنة للهجات العربية فتبين له أنها متقاربة إلى حد كبير وأن لها قرابة كبيرة بلغتها الأم.

فهي عبارة عن فصحى مبسطة إلى أقصى حد لتفاهم العوام وأغلب كلماتها مشوَّهة من الفصحى. ومعظم تراكيبها مقولبة عليها. كما إن أبرز الفوارق بينها هي المائل الصوتي والنطق وبعض التعابير الخلية المعدودة. يضاف إلى هذا أن اللهجات العربية تتجه نحو التفصيح، أي استعمال كلمات الفصحى وأحيانا تراكيبها، عند المثقفين العرب — ولعل الصحافة العربية تعطي نموذجا لذلك.

وقد احتفظت بعض اللهجات العربية بكلمات لم تعد متداولة وإن كانت موجودة في أمهات الكتب وفي المعاجم العربية القديمة.

ويكفي أي عربي أن يقيم في بلد عربي آخر مدة وجيزة ليتأقلم بسرعة ويألف سمعه لهجة ذلك البلد وقد ينطلق لسانه بها. ومن المعلوم أيضا أن الاذاعات العربية تخاطب عامة الناس بالعربية الحديثة كما إن الخطب السياسية تلقى بالفصحى فيفهمها الجمهور.

ومن ناحية أخرى، فإن ازدواجية اللغة (أي تواجد العامية والفصحى) ليست وقفا على العربية. إن هذه المسألة مطروحة على اللغات الأخرى، ومنها الفرنسية .

وتجدر الاشارة هنا إلى نظرية سارتر الشهيرة

في هذا الصدد. فقد لاحظ أن الفرنسيين يتكلمون لغتين في الحقيقة : لغة البيت والشارع، من جهة، ولغة المدرسة، من الجهة الأخرى. زد على ذلك أن بعض المناطق تنفرد بلغة أخرى كثيرة الاختلاف.

والملاحظ أن الطفل الفرنسي حينما يذهب إلى المدرسة يتوهم أن المجهود المطلوب منه لتعلّم اللغة الفرنسية قليل لأنه يتكلمها أصلا. لكن التجربة أثبتت، في كثير من الحالات، أن غير الفرنسيين كثيرا ما يتفوقون حتى في مادة الانشاء، لأنهم يدركون من الوهلة الأولى أنهم يتلقنون لغة غريبة عليهم.

وقد يصعب على الانكليزي المثقف أن يفهم ويتفاهم مع روّاد الحانات والأوساط الشعبية، ففي لهجتهم لكنة وفي استعمالهم للنحو الكلمة خطأ وتحريف.

ونفس الشيء ينطبق على اللغة الألمانية، ذلك أن هناك فوارق ومتغيّرات بين اللغة المستعملة في نواحي ألمانيا وفي سويسرا والنمسا وغيرها.

7 ــ العربية في الأمم المتحدة

أصبحت اللغة العربية لغة عمل ولغة رسمية للجمعية العامة في عام 1973، بموجب قرار الجمعية العامة 3190(د ــ 28) المؤرخ في 18 كانون الأول / ديسمبر 1973، ثم تساوت مع باقي اللغات، في سنة 1979، بموجب قرار الجمعية العامة 34 / 226 المؤرخ في 20 كانون الأول / ديسمبر 1979.

وبمقتضى قرار الجمعية العامة 35 / 219 المؤرخ في 19 كانون الأول / ديسمبر 1980، أصبحت من بين لغات العمل واللغات الرسمية للهيئات الفرعية للجمعية العامة. واعتمدها مجلس الأمن والمجلس الاقتصادي والاجتماعي كلغة عمل ولغة رسمية فيما بعد.

ويتضمن النظام الداخلي لكل من الهيئات التالية التابعة لليونيدو : المؤتمر العام ومجلس التنمية الصناعية ولجنة البرنامج والميزانية، مواد تعتبر اللغة العربية بموجبها لغة عمل ولغة رسمية إلى جانب اللغات الخمس الأخرى، وهي الاسبانية والانكليزية والروسية والصينية والفرنسية.

وقد أدخلت اللغة العربية في منظمة اليونيدو في عام 1982.

وإن الجمعية العامة للأمم المتحدة إذ قرّرت إدخال اللغة العربية أكدت «أنه ينبغي، توخيّا للفعالية الكاملة لأعمال الأمم المتحدة، أن تتمتع اللغة العربية بنفس الوضع الممنوح للغات الرسمية ولغات العمل الأخرى»(38). وأدركت «ضرورة تحقيق تعاون دولي أوسع نطاقا وتعزيز الوئام في أعمال الأمم المتحدة وفقا لما ورد في ميثاق الأمم المتحدة»(39).

وقد تشدّدت الأمم المتحدة في توظيف المترجمين العرب، كغيرهم من المترجمين، فنظمت مسابقات دولية، في معظم العواصم العربية وعواصم أخرى. هكذا، استطاعت الاهتداء إلى صفوة من المترجمين الذين يجمعون بين حسنيين، هما معرفة اللغة والتخصّص في الموضوع، ومنهم المهندسون والأساتذة الجامعيون والمحامون والصحافيون واللغويون، الخ.

وإن هؤلاء المترجمين ينقلون عن باقي لغات الأمم المتحدة، وعلى الخصوص عن اللغة الانكليزية، نصوصا في شتى الميادين : العلوم، الاقتصاد، القانون، الخ. و«إن المفاهيم المتضمنة والمصطلحات التي تستخدم للدلالة عليها لا بد أن تكون موحدة إذا أريد للأمم المتحدة أن تكون فعلا مؤسسة دولية تستطيع الدول الممثلة فيها أن تتفاهم، مما يجنّب الوقوع ثانية في مأساة بابل»(40).

ومن ناحية أخرى، فإن الأمم المتحدة تعدّ «من أكثر المنظمات الدولية حفزا للغوي، وإن في الأمر

تحديا كبيرا : كيف يمكن نقل المفاهيم في لغة واضحة تفهمها شعوب ليست بينها أحيانا وشائج تذكر؟»[1].

تلك هي المعادلة الصعبة التي يلقاها المترجم العربي في الأمم المتحدة، حتى بالنسبة للعالم العربي.

فالعالم العربي مترامي الأطراف، استعمرته في العصر الحديث دول مختلفة، فتميّز مشرقه بالثقافة الانكليزية أساسا وتشبّع مغربه بالثقافة الفرنسية. وإن وجود عناصر من شطريه في أقسام الترجمة العربية في الأمم المتحدة فيه إثراء وفائدة إن أحسن استغلاله.

وإن المشكلة لا تطرح ثقافيا وإنما مصطلحيا، ذلك أن المصطلح هو سيد الميدان، لأن المفاهيم والمواضيع المترجمة جديدة ومعها المصطلحات العلمية المعقدة. ومن فوائد نصوص الأمم المتحدة أن الاجتماعات تتكرّر والوثائق المعدّة لها متنوعة والمصطلح مغلّف بالسياق، مما يساعد المترجم على إدراك كنهه. ومطلوب من المترجم يوميا أن يخترع المصطلح. لذا، يجب أن يكون قد بلغ أسمى درجات اللغة. ومما يعينه على ذلك أن اللغة العربية مطواعة بأوزانها ووسائلها، إلاّ أنه ما زال في بعض الأحيان يتحسّس الطريق وليست له الجرأة الكافية لاستغلال ما أوتي من وسائل.

إن التاريخ يعيد نفسه. كما أن الوضع شبيه إلى حدّ ما بعهد المأمون حينما استوعبت العربية كثيرا من المفاهيم. ولقد أثبتت العربية دوليا، هذه المرة أيضا، أنها ما زالت قادرة على الاستيعاب والمسايرة.

ويستدل من التجربة أن خير طريقة لترجمة المصطلحات العلمية هي التعريب، أي إضفاء الطابع العربي عليها، على منوال «تلفزة» و «ساتل*» و «دينامية»، وذلك للتقريب من اللغات الأخرى وتسهيل التواصل والتفاهم بين العلماء في اجتماعاتهم. كما أن تنسيق وتوحيد المصطلح عربيا وعالميا أمر جدّ مهم، لا بل حيوي لبلوغ غاية الدقة والتدقيق، علما أن العربية لا تنفرد بهذه المشكلة.

---

* مقابل Satellite. هذا اقتراح من الأستاذ أحمد الأخضر غزال.

خلاصة

لقد أثبتت اللغة العربية على مرّ العصور والدهور أنها قادرة على التكيّف والاستيعاب. ولا ريب أنّ وراءها حضارة وتراث تليد. وللعرب أهمية اقتصادية وسياسية اليوم. ولا أدلّ على ذلك من تكاثر الاذاعات التي تبث برامجها بالعربية من الخارج، مثل هيئة الاذاعة البريطانية، التي لها برامج اخبارية وثقافية جدّ مسموعة ونطق فخم متميّز وإذاعة صوت أمريكا التي تركّز على الجانب الاخباري وإذاعة هولندا وإذاعة ألمانيا الاتحادية وإذاعة موسكو وغيرها من الاذاعات شرقا وغربا.

وفي الآونة الأخيرة، قرّرت شركة الاتصالات الهاتفية الايطالية أن تؤمن خدمات الترجمة الفورية الهاتفية بالعربية والانكليزية، ابتداء من فاتح تشرين الأول / أكتوبر 1987، مع دفع رسوم إضافية، وذلك تيسيرا للاتصالات. ومن المعلوم أن الحاسبة الالكترونية انتشرت انتشارا كبيرا في الأسواق العربية.

غير أن مما تعانيه العربية دوليا أن طرائق تعليمها لا تتماشى مع مقتضيات العصر وضرورات التبسيط والترغيب. إن تيسير تعلّم غير العرب للغة العربية مسألة هامة، لزيادة التعرّف على التراث والفكر العربيين. وتجدر الاشارة هنا إلى أن جلّ الترجمات من الغربية يقوم بها الآن العرب أنفسهم والمفروض أن يضطلع بهذا أهل اللغة المنقول إليها، لأنهم أقدر من غيرهم على ذلك، إلاّ في حالات نادرة جدا. وهذه المشكلة مطروحة أيضا بالنسبة للترجمة الفورية في الاجتماعات والمؤتمرات الدولية. وحبذا لو تحسنت، أيضا، أساليب تعليم العربية للعرب أنفسهم.

وقد أصبحت العربية تدرّس ضمن التشكيلة اللغوية لمعاهد الترجمة خارج العالم العربي، وخاصة في أوروبا، ومنها المدرسة العليا للمترجمين والتراجمة (ESIT) في باريس، جامعة الصُّربون الجديدة، ومدرسة المترجمين والتراجمة في جامعة جنيف، وجامعة مونس ببلجيكا، الخ. وأصبح بالاستطاعة التحضير لنيل شهادة الدكتوراه في الترجمة العربية في كل من جامعات باريس وسولفرد وإيدنبره، وغيرها.

وختاما، «فإن المحافظة على سلام العالم تهم كل واحد من الناس؛ لكن ليس هذا هو السبب الوحيد الذي يجعل دراسة اللغات من الأمور التي تهمنا جميعا كمواطنين. إن الفوارق اللغوية تفضي إلى إهدار فادح للطاقة الذهنية التي يمكن أن تجعل في متناول البشرية جمعاء الامكانات الوفيرة التي تتيحها العلوم الحديثة»(42).

«وإذا كان من حق كل واحد منّا أن ينفر شخصيا، وله أن يفضل ما يشاء، من القيام بدراسة من هذا النوع، فإن الفائدة المجنية من تعلّم اللغات ليست مسألة شخصية محضة. إن الفوارق اللغوية مصدر دائم لسوء التفاهم الدولي...»(43).

هكذا، فإن اللغات الحيّة، ومنها العربية، أدوات فعّالة للتواصل. إنها تصلح للبناء والتفاهم وكلما ازدادت معرفة اللغة ازداد التفاهم وربما الوئام.

ولعل أحسن وسيلة لاستغلال تلك الأداة هي الترجمة، ذلك أن المترجم «يكشف لنا أسرار عقول وقلوب كبيرة، تسترها عنّا اللغة، فيرفعنا من محيط ضيق إلى محيط نشرف منه على العالم الأوسع»(44).

المراجع

(1) الأب رفائيل نخلة اليسوعي، **غرائب اللغة العربية**، الطبعة الثانية المكملة، سلسلة نصوص ودروس، 12، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1960، ص 127.

(2) المرجع نفسه، ص 127.

(3) المرجع نفسه، مقدمة الكتاب.

(4) Brian Foster, **The changing English Language**, Pelican Books, 1970[1], 1971[2].

(5) أحمد محمد قدور، مقدمة لدراسة التطور الدلالي في العربية الفصحى في العصر الحديث، **عالم الفكر** (المجلد السادس عشر، العدد الرابع، يناير — فبراير — مارس 1986).

(6) محمد المبارك، **فقه اللغة وخصائص العربية**، الطبعة الرابعة، دار الفكر، بيروت، 1970.

(7) المرجع نفسه.

(8) Karl-Heinz Schönfelder, **Deutshes lehngut in Amerikanischen English** (Max Niemeyer, 1957) عن Brian Foster، المرجع السابق.

(9) أنيس فريحة، **نظريات اللغة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981.

(10) محمد المبارك، المرجع السابق، ص308.

(11) AS ; Tritton, Arabic, Teach yourself Books, Hodder and Stoughton, 1978.

(12) محمد الفاسي، في مقدمة لكتاب «القضية اللغوية في حركة راء المشتركة، أحمد الأخضر غزال» عن محمد أبو عبده، **التعريب ومشاكله**، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، 1984.

(13) A.J. Arberry, Arabic Poetry, A. Primer for Students , Cambridge University Press 1965.

(14) شوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، دار المعارف، 1983.

(15) انظر مثلا : مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981. والقاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، في كتابي «**إعجاز القرآن**» و«**التقريب والارشاد**». وأمين الخولي، «**المغني في أبواب التوحيد والعدل**» (الجزء السادس عشر في إعجاز القرآن)، دار المعارف، القاهرة. و«**تأويل مشكل القرآن**»، القاهرة 1954. ومحمد زغلول سلاّم، «**نكت الانتصار لنقل القرآن**» الاسكندرية، 1971. وحنفي محمد شرف، «**بديع القرآن**»، القاهرة1957. ومحمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلاّم، «**بيان إعجاز القرآن**»، دار المعارف القاهرة. وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني، «**نهاية الايجاز في دراية الاعجاز**»، القاهرة (1317 هـ 1898 م). ومحمد أبو الفضل إبراهيم، «**البرهان في علوم القرآن**»، القاهرة 1957.

(16) انظر مثلا Encyclopaedia Britanica - Koran.

(17) أنيس المقدسي، **تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت 1982.

(18) Mohammed Arkoun, la pensée arabe, Collection Que sais-je?, Presses Universitaires de France, 1975.

(19) المرجع نفسه.

(20) أنيس المقدسي، المرجع السابق.

(21) المرجع نفسه.

(22) محمد عزيز الحبابي، **تأمّلات في اللغة واللغو**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1980.

(23) محمد المبارك، المرجع السابق.

(24) محمد عزيز الخباني، المرجع السابق.

(25) المرجع نفسه.

(26) المرجع نفسه، ص 147.

(27) للمزيد من المعلومات انظر مثلا أساليب بلاغية، الفصاحة ــ البلاغة ــ المعاني، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980. الايضاح، لجنة بإشراف محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، عن أحمد مطلوب، المرجع السابق.

(28) الشيخ شبراهيم اليازجي، **نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد**، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، 1970. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(29) **مقدمة ابن خلدون**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(30) Alexis Marques, les problèmes de la traduction intralinguale, in colloque sur la traduction et la coopération culturelle internationale organisé avec le concours de l'UNESCO, Sofia, 1979.

(31) شكري فيصل، قضايا اللغة العربية المعاصرة، بحث في الاطار العام للموضوع، **مجلة اللسان العربي**، العدد 26، 1986، ص 33.

(32) أديب مروة، **الصحافة العربية، نشأتها وتطورها : سجل حافل لتاريخ فن الصحافة العربية قديما وحديثا** (بيروت : دار مكتبة الحياة، 1961)، ص111. عن مسارع الراوي، **وسائل الاتصال الجماهيري ودوره في نشر لغة عربية صحيحة، اللغة العربية والوعي القومي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (نيسان / أبريل 1984).

(33) Encyclopaedia Britanica, vol.16, p.368, History of Science.

(34) المرجع نفسه.

(35) للمزيد من المعلومات، انظر (معز زيادة، مدخل لدراسة مصطلحات عصر النهضة، **الفكر العربي**، العدد الثالث، 15 آب / اغسطس 1978).

(36) المرجع نفسه.

(37) انظر أيضا : Sieny, M., Scientific Terminology in the Arab World : Production, Cooperation and Dissemination, META (1985), N° 2.

(38) القرار 35 / 219 ألف.

(39) القرار 3190 (د ــ 28).

(40) Françoise Cestac, la traduction et les services de conférence à l'Organisation des Nations Unies.

(41) المرجع نفسه.

(42) Frederick Bodmer, The loom of Language : A Guide to Foreign Languages for the Home Student, George Allen and Ungin Ltd.

(43) المرجع نفسه.

(44) ميخائيل نعيمة، عن مجلة «العربي»، سبتمبر / أيلول 1987.

° ° °